

الكتاب الناطق - الحلقة 98

ليبيك يا فاطمة - ج 15

الاثنين : 8/8/2016م - 4 ذى القعدة 1437

❖ لازال حديثي في أجواء المؤسسة الدينية الشيعية الرسمية.. الحديث لازال في ظلمة أم الحسن والحسين في أجواء مراجعنا وفقهائنا ومُفسرينا وعلمائنا وزُعمائنا الدينيين.

وكما بيّنتُ سلفاً الحديث وصل إلى ظلمة فاطمة عليها السلام في الوسط الشيعي.. وقد قسّمت الوسط الشيعي إلى 3 أقسام:

- 1- المؤسسة الدينية الشيعية الرسمية بكلّ اتجاهاتها (الأصولية، والإخبارية، والعرفانية، والشيخية).
 - 2- هم أتباع هذه المؤسسة.. يُسمّون أنفسهم بشيعة أهل البيت، وهم شيعة المؤسسة الدينية. (لو كانوا شيعة لأهل البيت عليهم السلام، كما صَفّقوا وتابَعوا الكثير من مراجع وعلماء الشيعة وهم يُسيّؤون إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!)
 - 3- ما أطلّقتُ عليهم (الزهرانيون) وأعتقد أنّ هؤلاء موجودون في عالم الخيال! (لكنني أتحدّث عن هذا العنوان بشكل نظري).
- فحديثي في هذه الحلقات والحلقات التالية هو في أجواء المؤسسة الشيعية الرسمية.

❖ حديثنا في حلقة يوم أمس وصل إلى كتاب [الأسفار الأربعة : ج 7] ملا صدرا أو ما يُسمّى بـ[الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة] ويُقال له [الأسفار الأربعة] على سبيل الاختصار.. وهو من أهمّ الكتب التي كُتبت في دائرة الحكمة الإلهية التي جمعت بين الذوق المشائّي والإشراقي والصوفي.. وهو من أهمّ الكتب في دائرة العرفان النظري.. وقطعاً المرجع الأوّل والمصدر الأوّل [الفتوحات المكيّة] لابن عربي. كتاب الفتوحات المكيّة وُد لنا كتاباً في الوسط الشيعي هو [الأسفار الأربعة].. أهمّ مطالبه وأعمق ما جاء فيه أخذه صدر الدين من ابن عربي!

❖ قرأتُ في الحلقة الماضية سطور من هذا الكتاب تحت عنوان: الفصل التاسع عشر:- في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان. وسأكمل السطور من حيث توقّفت.

❖ (عشق الغلمان) هو موضوع من الموضوعات التي يتناولها المتصوّفة، العرفاء.. من الموضوعات التي تُذكر في (الجوّ العرفاني). المراد من الغلمان: الذكور قبل أن ينبت الشعر في شواربهم ولحاهم.. وبحسب ما يذكره العرفاء، وما يذكره صدر المتألّهين، فإنّ (عشق الغلمان) لا يكون بالنحو الشهواني - بحسب ما يقول العرفاء- فإنّ السالكون في الطريق إلى الله (وهو طريق العرفان) بحاجة في بداية الطريق إلى ألوان من الرياضة.. هناك رياضات جسدية (كالصوم مثلاً) وهناك رياضات نفسانية، ولون من ألوان هذه الرياضات النفسية هو (عشق الغلمان)!!

● ويبررون ذلك بهذا التبرير: يقولون بأنّ السالك إلى الله في بداية الطريق لن ينتظم قلبه في عشقه لله، فلا بُدّ أن يعشق مخلوقاً محدوداً بعيداً عن المعاني الشهوانية الجسدية.. فيعشق غلاماً لجماله، لجودة تراكيبه الحسية، وكذلك لحلو منطقه، ولذكائه، ولحسن ثقافته ومعلوماته وأمثال ذلك.. فيكون ذلك تدريباً وارتياًضاً كي يتمكن هذا السالك في طريق السلوك إلى الله أن يروّض قلبه على عشق الجمال، كي يستطيع بعد ذلك أن ينتقل من عشق المحدود إلى عشق المطلق.

■ أعداء المدرسة العرفانية استغلّوا هذا ضدّهم، فقالوا ما قالوا، ونسبوا ما نسبوا إليهم، واتهموهم صريحاً باللواط، وقد اتهم صدر المتألّهين باللواط في مقطع من حياته!!

■ المُطلعون على تفاصيل شؤونات هؤلاء يعرفون أنّ القضية ليست هكذا.. قد يوجد فاسدون في كلّ مجموعة (وهذه قضية أخرى) فالحديث هنا ليس في جوّ الفساد في الجوّ العرفاني، والجوّ الصوفي.. وبالنسبة لي أنا أبرئ ساحة العرفاء عن مثل هذه المعاني والاتّهامات، ولكنني أشكل عليهم من أنّ هذه المنهجية جيّئ بها من التصوّف الناصبي! ففي تكايا الصوفية الناصبية هذه الظاهرة موجودة!! أضف أنّ هذا اللون من التفكير لا يُمثّل ذوق آل محمّد صلوات الله عليهم!

❖ سأكمل قراءة السطور من حديث توقّفنا في الحلقة الماضية.. يقول صدر المتألّهين:

(ولأجل ذلك هذا العشق النفساني للشخص الإنساني إذا لم يكن مبدؤه إفراط الشهوة الحيوانية بل استحسان شمائل المعشوق، وجودة تركيبه، واعتدال مزاجه - أي حالته النفسية - وحسن أخلاقه وتناسب حركاته وأفعاله، وعَنَجِه ودلاله - فهذا - معدود من جملة الفضائل، وهو يُرقّق القلب، ويُدكّي الذهن، ويُنبت النفس على إدراك الأمور الشريفة، ولأجل ذلك أمر المشايخ مُريديهم- أي طلابهم السالكين - في الابتداء بالعشق، وقيل العشق العفيف أوفى سبب في تلطيف النفس وتنوير القلب، وفي الأخبار أنّ الله جميل يُحبّ الجمال، وقيل من عشق وعفّ وكتّم ومات مات شهيداً).

■ عبارة (العَنَج والدلال) ليست مُناسبة للحديث عن العشق البعيد عن الشهوات.. فالعَنَج والدلال يكون فاتحاً للعشق الشهوي. (وقفّة توضيحية تُبيّن المراد من معنى العَنَج).

■ مُشكلة كبيرة جدّاً إذا أمر العرفاء طلابهم السالكين إلى الله أن يبدؤا طريقهم إلى الله بعشق الغلمان!!

الزيارة الجامعة تُشخص الطريق بوضوح، فتقول (مَن أراد الله بدأ بكم).. ولكن العرفاء لأنهم ارتبطوا بفكر ابن عربي، لذلك تركوا منطق الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة التي تُمثل (القول والبليغ الكامل)!

❖ قراءة سطور من الزيارة الجامعة الكبيرة تُعلّمنا كيف نتحرّك في الطريق إلى آل محمّد عليهم السلام، نقول الزيارة: (مَن أتاكم نجا، ومَن لم يأتكم هلك، إلى الله تدعون، وعليه تدلون..) إلى أن تقول الزيارة (سعدَ مَن والاكم، وهلك مَن عاداكم، وخاب مَن جحدكم، وضلّ مَن فارقكم، وفاز مَن تمسك بكم... وهدى من اعتصم بكم) أيهما أفضل: أن أتحدّث عن شمائل المعشوق وجودة تركيبه، وعن غنجه ودلاله!! أم أبحث عن هذه المضامين؟! إذا كنتم تبحثون عن العشق، فالبداية هنا (مَن أراد الله بدأ بكم، ومَن قصده توجه إليكم).

■ إذا كنتم تبحثون عن العشق، والجمال فهو هنا في هذه العبارات:
(بأي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح) إلى أن تقول الزيارة (فما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم، وأجل خطركم، وأوفى عهدكم، وأصدق وعدكم، كلامكم نور) هذا هو العشق، هذه هي الحلاوة، هذا هو الجمال، هذا هو النور.

■ في دعاء الجوشن عبّر عنها بذلك التعبير (يا من ذكره حلو)، وهنا في الزيارة الجامعة الكبيرة عبّر عنها بهذا التعبير (فما أحلى أسماءكم) وفي دعاء السحر (اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله).. فالمعاني واحدة تتبيّن نيتها عند الحجّة بن الحسن في دعاء شهر رجب (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك). يا من تبحثون عن العشق والغرام والهوى فالعشق هنا.

❖ يقول صدر المتألهين أنّ عشق الغلمان (يرقق القلب، ويُدكيّ الذهن، ويُنبه النفس على إدراك الأمور الشريفة)!! وأقول: أنّ الذي جاء في كلمات النبي الأعظم هو أنّك إذا أحسست جفوة في قلبك وقسوة وغلظة وأردت أن تُرقق قلبك، فخذ يتيماً وضعه في حجره، وامسح على رأسه رافةً ورحمة به.

وإذا أردت أن تُرقق قلبك لله، لا أن تُرقق قلبك للدنيا.. فإنّ اليتيم في رواياتنا هو إمام زماننا عليه السلام. فكلمنا كنت في خدمة إمام زمانك، كلما كنت تمسح على تراب يدوسه بنعله الشريف.. (فترقيق القلب هنا هو أن تكون في خدمة إمام زمانك). وكما قال الصادق عليه السلام: **لو أدركته لخدمته أيام حياتي.**

● فاليتيم المنقطع الذي لا مثيل له هو (الحجّة بن الحسن).. كما نُعبّر ونقول: ذرة يتيمة، أي لا شبيه لها.. لم يُحدّثنا رسول الله أنّنا إذا أردنا أن نرقق قلوبنا أن نعشق غلاماً جميلاً يتغنّج ويتمايس دلالاً أمام أعيننا!!

■ إلى أن يقول صدر المتألهين:
(لكن الذي يجب التنبيه عليه في هذا المقام أنّ هذا العشق وإن كان معدوداً من جملة الفضائل الا انه من الفضائل التي يتوسط الموصوف بها بين العقل المُفارق المحض وبين النفس الحيوانية ومثل هذه الفضائل لا تكون محمودة شريفة على الاطلاق في كل وقت وعلى كل حال من الأحوال ومن كل أحد من الناس بل ينبغي استعمال هذه المحبة في أواسط السلوك العرفاني، وفي حال ترقيق النفس وتبنيها عن نوم الغفلة ورقدة الطبيعة وإخراجها عن بحر الشهوات الحيوانية، وأمّا عند استكمال النفس بالعلوم الإلهية وصيرورتها عقلاً بالفعل محيطاً بالعلوم الكلية ذا ملكة الاتصال بعالم القدس، فلا ينبغي لها عند ذلك الاشتغال بعشق هذه الصور المُحسنة اللحمية والشمائل اللطيفة البشرية، لأنّ مقامها صار ارفع من هذا المقام ولهذا قيل المجاز قنطرة الحقيقة - يعني عشق الغلمان عشق مجازي، فتحى نعشق الحقيقة لئلا ندخل من جهة المجاز -

وإذا وقع العبور من القنطرة إلى عالم الحقيقة فالرجوع إلى ما وقع العبور منه تارة أخرى يكون قبيحاً معدوداً من الرذائل) ■ إلى أن يقول: (وأما الذين ذهبوا إلى أن هذا العشق من فعل البطالين الفارغي الهمم، فلأنهم لا خبرة لهم بالأمور الخفية والأسرار اللطيفة، ولا يعرفون من الأمور إلا ما تجلّى للحواس وظهر للمشاعر الظاهرة ولم يعلموا أنّ الله تعالى لا يخلق شيئاً في جبلّة النفوس إلا لحكمة جليلة وغاية عظيمة)!!

❖ حين سألو الإمام الصادق عليه السلام عن أناسٍ يبتلون بالعشق (والحديث عن عشق النساء قطعاً الذي يأتي مُنسجماً مع الطبيعة النفسية والجسدية والغرائزية، وليس عشق الغلمان) حين تكون هناك مُبالغة في قضية العشق، بحيث يشغل المعشوق كلّ وقت العاشق وكلّ حياته وكلّ اهتماماته، فهم يسألون الإمام عليه السلام عن هذه المعاني فيُجيبهم ويقول:
تلك قلوب خلت من محبة الله فابتلاها الله بحبّ غيره! وحبّ الله هو حبّهم صلوات الله عليهم، كما في الزيارة الجامعة الكبيرة (ومَن أحبكم فقد أحبّ الله).. فإذا أرادت هذه القلوب أن تتجّه إلى الله فلا بُدّ أن تمتلئ بحبهم صلوات الله عليهم.

❖ (عرض أمثلة من تعليقات السيّد الخميني على كتب ابن عربي وتلامذته ومُريديه وأتباعه).

* المثال 1: **وقفه عند كتاب للسيّد الخميني [هو تعليقة السيّد الخميني على كتاب شرح فصوص الحكم للقيصري]**

فهناك شرح لفصوص الحكم كتبه داود الرومي القيصري، والسيّد الخميني له تعليقة على شرح القيصري للفصوص. تعليق السيّد الخميني على الحديث المكذوب على رسول الله الذي ذكره ابن عربي في كتابه الفتوحات.

● يقول ابن عربي في هذا الكتاب، تحت عنوان : فَصْحُ حِكْمَةٍ حَقِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ اسْحَاقِيَّةٍ: (ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ في المنام بقدر لبن، قال: فشربته حتى خرجَ الرُّيُّ من أظافيري، ثم أعطيتُ فضلي عمر، قيلَ ما أوَلَّتُهُ يا رسول الله ؟ قال: العلم). فالسيد الخميني يُعَلِّقُ ويقول: (قوله: ألا ترى رسول الله.. إلخ، اعلم هداك الله إلى الطريق المستقيم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان مُتَحَقِّقاً بتمام دائرة الوجود ومستجمعاً للكلمات التي في جميع عوالم الغيب والشهود، وله البرزخية الكلية وهو المشيئة المطلقة والفيض المقدس الإطلاقي لم يكن كمال ولا وجود خارجاً عن حيطة كماله ووجوده، فهو كل الوجود الظلي وكله الوجود وليس وجود ولا كمال وجود خارجاً عن وجوده وكمال وجوده، حتى يكون فضلاً وزيادة، والفيوضات الوجودية والكمالية التي تصل إلى ما سواه من حضرته يكون بطريق التجلي والتشأن لا بطريق الفضل والزيادة، نعم ما كان فضلاً عن الوجود هو التعيين والعدم، وعن الكمالات ما كان من نسخ مقابلاتها)

● السيد الخميني يقول: رسول الله حقيقة كاملة، والحقيقة الكاملة يظهر فيها الكمال بكّله، فلا توجد هناك فُضلة أو زيادة.. فمراد السيد الخميني هو أن عمر لم يصل إليه.

● وأقول للسيد الخميني: أن كتاب الفصوص أساساً لابن عربي هو من الأساس كتاب ضلال.. فما الحاجة للتعليق عليه والاهتمام بما جاء فيه؟! المنطق الرحماني يقول: أنه يجب علينا أن نحصل المعارف (الحقّة) من مصدرها (الكتاب والعترة). فنهمم الكتاب والعترة من خلال القواعد التي وضعها أهل البيت عليهم السلام في حديثهم، لا أن نأتي بقواعد للفهم من خارج الكتاب والعترة. إذا ما تولدت عندنا القواعد والأسس الصحيحة فحينها بإمكانها أن نطلع على كتب الضلال وندرسها بمقدار الحاجة، وأن لا نعبأ بها، يعني ندرسها ونحن نعتقد أنها كتب ضلال، ولكن بشرط أن نكون قد حصلنا على المعارف الحقّة.

✿ نحن نستفيد من الاطلاع على كُتُب أعداء أهل البيت - بعد تحصيلنا أولاً للمعارف الحقّة من حديث العترة - نستفيد من ذلك أن نعرف ماذا يقول أعداء أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الصواب في خلافهم.

أما أن نأتي إلى كتاب ضلال مثل (فصوص الحكم) ندرسه ونُدْرَسُه ونقرأ شروحه، ثم نكتب تعليق على شروحه، ونكتب تعليق على حديث ورد فيه وهذا الحديث هو أساساً مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله فهذه متاهة واضحة! لأنّ الأحاديث المكذوبة على رسول الله لا تستحقّ التعليق أصلاً.. وحتى لو أردنا أن نعلّق عليها لابد أن نُبيّن أنّ هذا التعليق مكذوب.. ولكن السيد الخميني لم يُشر إلى كذب هذا الحديث وإن ردّ على مضمونه!

أضف أنّ نفس الاهتمام بهذا الكتاب والتعليق عليه هو شيء في غاية البُعد عن ذوق آل محمّد عليهم السلام، وإن كان ردّاً..!

* **المثال 2:** وقفة عند كتاب آخر للسيد الخميني [هو تعليقة السيد الخميني على كتاب مصباح الأنس بين المعقول والمشهود في شرح غيب الجمع والوجود] للفناري علماً أنّ كتاب [مفتاح غيب الجمع والوجود] هو لصدر الدين القونوي (أحد تلامذة ابن عربي). من ضمن تعليقات السيد الخميني في هذا الكتاب، يقول وهو يرد على ما ذكره ابن عربي في كتبه من أنّ المرتاضين وأهل الكشف من الصوفية يرون الشيعة في هيئة الخنازير، يقول:

(بل قد يشاهد السالك المرتاض نفسه وعينه الثابتة - يعني جوهره وحقيقته - في مرآة المُشَاهِد لصفاء عين المُشَاهِد - أي صفاء نفس المُشَاهِد - كرؤية بعض المرتاضين من العامة الرفضة بصورة الخنزير بخياله وهذا ليس مشاهدة الرفضة كذا، بل لصفاء مرآة الرافضي رأى المرتاض نفسه التي هي على صورة الخنزير فيها، فتوهم أنّه رأى الرافضي وما رأى إلا نفسه)!

● وأقول: ما الداعي من الأساس إلى التعليق على كتاب [مصباح الأنس]؟! المشكلة هنا عند عرفاء الشيعة هي أنّ هذا الاهتمام بكتب ابن عربي ودراساتها والتعليق عليها أدى إلى تشكيل مفردات من هذه الكتب وهذه الأفكار تدخّلت هذه المفردات في تكوين العقل الشيعي (في تكوين عقل نخبة النخبة)!! ثمّ من قال أنّ هؤلاء الذين يقولون أنّهم رأوا الشيعة في صورة خنازير.. من قال أنّهم صادقون في مكاشفتهم حتى يردّ عليهم؟!

✿ **إذا رجعنا إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام، نجد الأئمة حدّثونا عن لونين من المكاشفة:**

● مكاشفة من طريقهم "صلوات الله عليهم" كما حصل مع رجل ضرير كأبي بصير حين كشف الإمام عن بصره فرأى الناس على حقائقها!! (رأى الحالة المسخّية).

● والون الاخر المكاشفات الشيطانية! فالشيطان يُوهم الإنسان ويُدخله في سلسلة من المكاشفات (في عالم اليقظة وعالم المنام).

✿ خلاصة ما أريد أن أقوله هو أنّ هذه الكتب (كتب ابن عربي، وكتب القونوي والقيصري والفناري وأمثالها..) هذه الكتب كُتِبَ ضلال! حشرها الشيطان حشراً في الوسط الشيعي، في الوقت الذي دفع فيه علماء الشيعة للتشكيك في زيارات أهل البيت وأدعيتهم، وجعل العرفاء يهتمون بكتب الضلال هذه، ويهتمون بأشعار الرومي وبأشعار حافظ الشيرازي وسعدي وأمثال هؤلاء.. وتترك الحقائق الواضحة الصريحة الموجودة في طوايا الكتاب والعترة!!

● أتعلّمون أنّ الكثير من المراجع خصوصاً في قم وحتى في النجف، خصوصاً المراجع الذين يمتلكون ذوقاً عرفانياً، هؤلاء يأخذون **الاستخارة بديوان حافظ الشيرازي**. (وهذه قضايا معروفة ومُثبتة في الكتب، والسيد الطباطبائي كان يصنع ذلك)!!!

- وهل تعلمون أنّ أول كلمة يفتتح بها حافظ الشيرازي ديوانه هي صدر بيت من شعر يزيد بن معاوية (ألا يا أيها الساقى أدر كاساً وناولها)!!! إذا رأيتم الشَّعرَ شديد.. فالعنوا يزيد (فيزيد كان شاعر)!
- لماذا يترك علماءنا الكتاب والعترة ويذهبون إلى هذه الأشياء؟! ما قيمة هذه الأشياء - على فرض كونها صحيحة - ما قيمتها إذا ما قيستُ بحقائق الكتاب والعترة؟!

*** المثال 3:** مثال آخر من تعليقة السيّد الخميني على كتاب [مصباح الأُنس] جاء فيه:
 (قال القيصرى: كما ورد في الخبر أنّ لله ثلاثمائة خلقٍ مَنْ تخلَّق بواحد منها دخل الجنّة، فقال أبو بكر: هل فيّ منها شيء يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلّم كلّها فيك). الحديث واضح أنّه افتراء على رسول الله، فما الحاجة للتعليق عليه؟! ولكن السيّد الخميني يُعلِّق عليه وكأنّ الحديث صحيح!! فيُعلِّق على الحديث، ويقول:
 (قوله: قال صلى الله عليه وآله [كلّها فيك] بحكم اضمحلال الكثرات واندكائها في الحضرة الأحديّة، وفنائها فيها لدى شهود القيامة الكبرى، وبهذا الاعتبار يكون كلّ الصفات في كلّ موجود، ولهذا ورد أنّه تعالى أوحى إلى موسى أن جيء بموجود أحسّ منك، فأخذ برجل ميتة كلب، ثمّ تنبه على خطأه فتركها، فأوحى الله تعالى إليه أن لو جئت بها لسقطت من مقامك فافهم ولا تغفل). فالسيّد الخميني يُريد أن يقول أنّ هذا الحديث ليس فيه فضيلة لأبي بكر، فكلّ جزء من أجزاء الوجود فيه كلّ الصفات.. وهذا سيقودنا إلى مبدأ وحدة الوجود والموجود.

❁ التوحيد عند الشيعة على ضربين:

- توحيد المدرسة العرفانية هو توحيد الصوفيّة.
 - توحيد المؤسسة الدينية الشيعية الرسميّة التي مُثّلها الآن المدرسة الأصوليّة هو (توحيد الأشاعرة والمعتزلة).
- أمّا توحيد أهل البيت عليهم السلام فلا وجود له!
 هذه أمثلة من تعليقات السيّد الخميني على كتب ابن عربي وتلامذته وأتباعه.. صحيح أنّ السيّد الخميني يرد على المضامين المذكورة في الكتب.. ولكن في نفس الوقت ردّه هو اعتراف بصحّة هذه الكتب وبصحّة الأحاديث الواردة فيها.. مع أنّها أحاديث قطعاً مكذوبة على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

■ الغريب أنّ السيّد الخميني وباقي العرفاء والعلماء والمراجع يتلقّون الأحاديث من النواصب من دون مناقشة في أنّها مكذوبة أو غير مكذوبة، ويُعلّقون عليها.. ولكن حين يذهبون إلى حديث أهل البيت يبدأ النقاش والتقطيع والبحث في الرجال والأسانيد!!!

❁ وقفة عند كتاب [في مدرسة آية الله العظمى الشيخ بهجت في العقيدة والعرفان والأخلاق: ج 2]

تحت عنوان: الفصل الثالث - خطب وتوجيهات ومواعظ مُتفرّقة.

الشيخ بهجت في هذا الفصل يرسم برامج عمل وسلوك ومواعظ لطلبة الحوزة العلمية ولشباب الشيعة ولمن يلوذون بفناته. تحدّث في هذه الخطب والبيانات والمواعظ عن كلّ شيء (مواعظ أخلاقية عامّة يُوجّه الناس فيها إلى الطاعة والبعد عن المعصية). وأنا لا يوجد عندي إشكال على العناوين والخطوط العامّة.. ولكنني أقول:
 ما وجدت في كلامه إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى الزهراء عليها السلام!!

■ نعم ورد في (الجزء 1) من هذا الكتاب للشيخ بهجت، تحت عنوان: واطبوا على زيارة الزهراء.. جاء فيه:

(قال أحدهم: قيل لي في عالم المنام: قل للناس أن يواظبوا على زيارة الزهراء من أجل رفع الصعوبات وحلّ المشاكل). فيُعلِّق الشيخ بهجت على ذلك: (شخصياً لم أفهم تفسير هذا المنام، اللهم إلّا أن يُقال: إنّ الزهراء قُتلت في سبيل الناس الذين هم في هذا العصر، وعلى هذا فإنّ البلاء يرتفع عمّن لم يُرد ذلك اليوم ولم يرضّ به؛ لأنّ زيارتها تكشف عن التولي وأنّ هذا الزائر لم يكن في ذلك اليوم موجوداً حتّى يظهر ولاءه، فهو يواظب على التوسل والدعاء والزيارة بهذا الاعتقاد، لذا يكون خارجاً عمّن يشملهم البلاء) هذا الجواب الذي أجاب به الشيخ بهجت هو فهم سطحي.. لا أقول أنّه سيئ، ولكنّ أهل البيت عليهم السلام لا يُريدون هذا الفهم! أهل البيت لا يُريدوننا أن نفهم أنّنا نقرأ الزيارة لإبراز الولاء للزهراء حتّى يُدفع البلاء عنّا.. هذا الكلام ليس خطأً ولكنّه لا يمثّل المراد النهائي لأهل البيت!

■ بغضّ النظر عن المنام الذي سئل عنه الشيخ بهجت.. فإنّ المواظبة على زيارة الزهراء عليها السلام وعلى ذكرها، يكون ذلك سبباً للارتباط بها صلوات الله عليها.. فالأساس هو الارتباط بالزهراء عليها السلام، وهذا هو السبب الذي تُعقد هذه الحلقات لأجله، لأنّ النبي والأئمة عليهم السلام جعلوا الزهراء أساس البنية العقائدية.. بينما المؤسسة الدينية أخرجت الزهراء!! (هذه جريمتهم الكبرى، حين أخرجوا الزهراء صلوات الله عليها من المنظومة العقائدية! وأدّل دليل كلام العرفاء الذي مرّ علينا)!!

■ حتّى الذين يتظاهرون بتقديس الزهراء (هذا تقديس سفيه).. هذا الذي يبكي عليها في مُصابها ويخرج حافياً (المرجع الفلاني خرجاً حافياً، وذاك نزع العمامة عن رأسه، وذاك لطم على جبهته) ذلك شيء حسن.. ولكن في نفس الوقت هو يُدافع دفاعاً شديداً

عن الذين أسسوا لهذا المنهج الخاطيء الذي أخرج فاطمة من المنظومة العقائدية، وهو نفسه أيضاً يُخرج فاطمة من المنظومة العقائدية ! فما معنى بكائه إذن؟!

بُكاؤه على فاطمة شيءٌ حسن، ولكن لا معنى له (فهو بُكاء العبرة من دون العبرة)!! أهل البيت عليهم السلام يُريدون بُكاءً معرفياً ينطلق من المعرفة.. يُريدون دموعاً تمتزج بحقائق العقيدة المُبتنية في جوهرها على فاطمة !

■ مرّ علينا كلام صدر المتألهين عن (عشق الغلمان)!! وأقول: لماذا هذا التفكير الأعوج؟! لماذا لا تكون العلاقة مع الله سبحانه وتعالى عبر العلاقة مع الزهراء صلوات الله عليها (مُبتدئة ومُنتهية)؟! (هذا هو الدين الحقيقي).. فالزهراء هي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، وليس الغلام الأمرد! النبي والأئمة عليهم السلام أرادوا أن تكون الزهراء هي الأساس في عقيدتنا، وأن الدين من دون فاطمة لا معنى له، لأنها القيمة على الدين.

■ قد يقول قائل: ما المراد من إخراج فاطمة من المنظومة العقائدية؟! فأقول بشكل مختصر: هذا الدين له أصل وله قيم وله فروع. أصل الدين واحد هو الحجّة بن الحسن، وقيم الدين واحد وهو فاطمة، وهي قيمة على الحجّة بن الحسن.. وفروع الدين هي شؤون الإمام، هي شؤون الحجّة بن الحسن.. (لابد أن تكون المنظومة العقائدية هكذا). وأعني بشؤون الحجّة بن الحسن هي شروط الانتظار والتمهيد.. صلاتنا إذا لم تكن في جو الانتظار والتمهيد لا وزن لها.. والصوم والحجّ كذلك. كلّ العبادات وكلّ المعاملات لابد أن تُوظف في خدمة الانتظار والتمهيد (هذا هو ديننا، وغير ذلك هو هراء ومضحكة ومهزلة).

❖ الزهرايون على - نحو الحقيقة - لا وجود لهم على أرض الواقع.. إننا نحاول أن نكون زهرايين، نحاول أن نعرف ما المراد من هذا المصطلح (زهرايون)!

❖ وقفة عند كتاب [رائد العرفان] للأغا محمد البيد آبادي.. وهو مجموعة رسائل وهي عبارة عن برامج في علم السلوك (في التهذيب والتربية).. والمؤلف: محمد البيد آبادي هو من كبار عرفاء الشيعة ومن أساطين المدرسة العرفانية.. ومن أهم الرموز التي نقلت ذوق صدر المتألهين (الذوق العرفاني).

(عرض سريع لعناوين رسائل السير والسلوك وبرامج العمل الواردة في هذا الكتاب.. وجميع هذه الرسائل والبرامج العملية لم تُشر إلى الزهراء لا من قريب ولا من بعيد)!!

❖ طريق السلوك طريق تطهّر.. والتطهّر لن يحصل إلا بالولاء لفاطمة والارتباط بفاطمة.. لن يحصل التطهّر إلا بالقيمومة المطلقة على الدين. ولذلك أنا أقول للعرفاء: عن أي تطهّر تتحدثون؟! تُريدون أن تتطهّروا بالانتماء إلى طقوس وأساليب في العمل تُقلّدون فيها الصوفية؟!

❖ وقفة عند أهم رسالة في السير والسلوك [تحفة الملوك في السير والسلوك] للسيد مهدي بحر العلوم.. وربما تعد من أفضل ما كُتب في بابها، ولا أخفيكم أيّ في سن العشرين قد طبقت هذه الرسالة العملية بكلّ تفاصيلها.. وقد انتفعت منها حين طبقتها، ولكن حين أقيسها مع ما انتفعتته من حديث أهل البيت لا أضع مقياساً للمقارنة.

■ وقد يقول قائل: أن صاحب [تحفة الملوك في السير والسلوك] قد أخذ محتواها من حديث أهل البيت وآيات القرآن الكريم.. فلماذا لا يكون هناك وجه للمقايسة بين الفائدة الموجودة فيها، وبين الفائدة التي أخذتها من حديث العترة وأدعيتهم وزياراتهم؟ أقول: صحيح أن السيد أخذ مضامين الرسالة من حديث العترة.. ولكن الفكر فكر صوفي! آثار ابن عربي واضحة فيها! (عرض شاهد من هذه الرسالة يُبين هذه الحقيقة: أن آثار ابن عربي موجودة حتّى في أول سطر من هذه الرسالة!) ورغم كونها أفضل رسالة كُتبت في السير والسلوك، وأنها الأفضل في الجانب الولائي، ولا تتبني فكرة أن الإنسان يُمكن أن يكون كمحمد وآل محمد التي يقول بها كبار عرفاء الشيعة، إلا أنها تبقى جزء من هذا الجو العرفاني الخلي من ذكر الزهراء عليها السلام، فلا يوجد ذكر للزهراء في هذه الرسالة!

❖ وقفة عند كتاب [تذكرة المتّقين في آداب السير والسلوك] للشيخ محمد البهاري.. وهو كتاب فيه مجموعة من الرسائل والبرامج التي كتبها كبار عرفاء الشيعة.

(عرض سريع لعناوين رسائل السير والسلوك وبرامج العمل الواردة في هذا الكتاب والتي كتبها كبار عرفاء الشيعة.. وجميع هذه الرسائل والبرامج العملية لم تُشر إلى الزهراء لا من قريب ولا من بعيد)!!
فأيّ علم للعقائد يجعل الزهراء خارج منظومة العقيدة؟! وأيّ علم للسير والسلوك يجعل الزهراء خارجة؟ وإذا ذُكرت تُذكر على الحاشية!! وذكرها على الحاشية هو إهانة لها صلوات الله عليها!

❖ الذين يُطبّقون برامج السير والسلوك يُريدون أن يكونوا في دائرة الأولياء.. والمنهجية الصحيحة والواضحة التي تُبين لنا كيف نكون في مجموعة الأولياء موجودة في (دعاء الندبة الشريف) وهو مروى عن إمامنا الصادق، وعن صاحب الأمر عليهما السلام.. حين نقرأ في الدعاء (أين وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء).

فالأولياء هم الذين يتوجهون إلى وجه الله، ووجه الله هو الحجّة بن الحسن عليه السلام.. وأمّا كيفية هذا التوجّه فتبيّنه الزيارة الجامعة الكبيرة حين تقول (ومَن اعتصم بكم، فقد اعتصم بالله، أنتم الصراط الأقوم).

● وهذا الاعتصام بهم صلوات الله عليهم أيضاً تشرحه وتبيّنه نفس الزيارة الجامعة الكبيرة حين تقول (ومُقَدِّمكم أمام طَلِيتي وحوائجي وإرادتي في كلِّ أحوالي وأموري.. مؤمن بسرکم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأولكم وآخركم، ومُفَوِّض في ذلك كلّه إليكم، ومُسَلِّم فيه معكم، وقلبي لكم مُسَلِّم، ورأبي لكم تَبِع، ونُصرتي لكم مُعَدَّة) وبعبارة مُختصرة جامعة (فمعكم معكم لا مع غيركم).

❖ **وقفه عند مقتطفات من زيارة الزهراء صلوات الله عليها:** (وزعمنا أنّا لكِ أولياء ومُصدّقون وصابرون لكلِّ ما أتانا به أبوكِ صلى الله عليه وآله وأتى به وصيته، فإنّا نسألكِ إنّ كنا صدّقناكِ إلّا ألحقنا بتصدقنا لهما لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتكِ).

■ طريق السالكين إلى الله حاله حال الصلاة، يحتاج إلى المحافظة على الطهارة، والحفاظ على الطهارة وبقائها يأتي من خلال العلقه والارتباط بفاطمة صلوات الله عليها. وتفصيل ذلك تبيّنه وتوضّحه نفس الزيارة أيضاً حين تقول:

(وأنّ من سرّك فقد سرّ رسول الله، ومن جفاك فقد جفا رسول الله، ومن آذاك فقد آذى رسول الله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله، لأنّك بضعة منه وروحه الذي بين جنبيه.. أشهدُ الله ورُسله وملائكته أنّي راضٍ عمّن رضيت عنه، ساخط على من سخطت عليه، مُتبرئٌ ممّن تبرأت منه، مُوالٍ لمن واليت، مُعادٍ لمن عاديت، مُبغضٍ لمن أبغضت، مُحبٍ لمن أحببت، وكفى بالله شهيداً وحسيباً وجازياً ومُثيباً).

■ وإذا أردت أن تعرف تفاصيل هذه الطهارة لأجل المحافظة عليها فاذهب إلى زيارة الحسين عليه السلام: (أشهد أنّك طهر طاهرٌ مُطهّر، من طهر طاهر مطهّر، طهرت وطهرت بك البلاد وطهرت حرمك وطهرت أرض أنت فيها) فالإلتصاق يكون بالحسين ولكن تحت خيمة فاطمة..

■ وأمّا الباب الذي نخل منه فهو موجود في زيارة قمر الهاشميين عليه السلام حين نخاطبه عليه السلام فنقول: (جئتك يا بن أمير المؤمنين وافتدأ إليك).

الخطاب في (جئتك) هو للمفرد.. ولكن يتحوّل بعدها إلى خطاب للجمع (وافدأ إليك) لأنّ العباس صلوات الله عليه هو البوابة إلى أهل البيت عليهم السلام.. فحينما نصل إلى العباس ونقف على أعتابه نكون قد وصلنا إلى أهل البيت عليهم السلام. (هذا هو طريق السلوك عند آل محمّد.. موجود في بيوتكم في مفاتيح الجنان).. لا تخرجوا من خيمة الزهراء تكونون في طريق السلوك الصحيح، وهو طريق الطهارة.

أما المؤسسة الدينية أخرجتكم من خيمة فاطمة!